منهج الاختصار في كتابة السيرة النبويّة في القرن الثامن الهجري

إعداد الدكتور

ســـامي بن غـازي العـنزي

أستاذ الحديث المساعد بجامعة الجوف

Email: SamiAl Enezi@yahoo.com

ملخّص البحث

منهج الاختصار في كتابة السيرة النبويّة في القرن الثامن الهجري

إعداد الدكتور / سـامي بن غـازي العـنزي

يتناول البحث منهج الاختصار في كتابة السيرة النبويّة خلال القرن الثامن الهجري، ويعرض لثمانية مصادر من كتب السيرة تميّزت بكونها كتب أصيلة كتبت في السيرة دون أن تكون شروحاً أو تعليقات على كتب أخرى أو مخطوطات، وهذه المصادر هي: الدمياطي، القادوسي، ابن سيّد النّاس، الذهبي، الصفدي، ابن شاكر الكتبي، ابن جماعة، وابن كثير.

وقد عرض الباحث في حديثه عن منهجيّة الاختصار إلى شمول الكتاب للسيرة النبويّة ولشمائل النّبي ﷺ، ومزاياه، وحياته الخاصّة، وقد ركّز الباحث على حجم الكتاب وعدد صفحاته، وهل تمّت طباعته في مجلّد أو أكثر؟ وهل كان هناك ذكر للمصادر فيه؟ وهل ذكر الاختصار في العنوان أوفي المقدِّمة؟ كما حاول الباحث الوقوف على مزايا الاختصار وسلبيّاته وإيجابيّاته، وهل كان اختصاراً حقيقيّاً مفهوماً أم أنّه كان مخلّاً بالمادّة العلميّة؟

الكلمات المفتاحية : منهج الاختصار - كتابة السيرة النبويّة - القرن الثامن الهجري – كتب السيرة .

Email: SamiAl Enezi@yahoo.com

Summary of the research:

Methodology of curtailment in Sira writings during the eighth hijri century

Dr. Sami Bin Ghazi Al Enezi

The search tackled the methodology of curtailment in Sira writings during the eighth hijri century, and showed for eight resources that distinguished as origin books not explanation or commentary books or manuscripts. The authors that outlined are: Aldomiati, Alkadossi, Ibn Sayyid Annas, Aldahabi, Alsafadi, Ibn Shaker Alkotobi, Ibn Jamaeah and Ibn Katheer.

The researcher presented the inclusion for Sira, Shamyil, and private life of Prophet Muhammad, peace be upon him. The researcher focused on the size of the books, number of the pages, printing of the books in a folder or more, did the author mention his resources? did he mention curtailment in address or introduction? In addition, the researcher tried to concentrate on features of curtailment and its positives and negatives. Finally, was the curtailment actual and understood or disruption in scientific material?

Keywords: Method of abbreviation - writing the biography of the Prophet - the eighth century AH - biography books.

Email: SamiAl Enezi@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

يعتبر القرن الثامن الهجري أحد أخصب العصور الإسلاميّة في حركة التأليف في كلّ فروع العلوم ومن بينها السيرة النبويّة، فظهر الكثير من الكتب الّتي أُلِّفت فيها، وكان طابع التأليف فيها هو الاتّجاه إلى اختصارها بعد أن امتلأت الساحة العلميّة بالكتب المطوّلة.

أهميّة الموضوع: لا ريب أنّ دراسة منهج البحث التاريخي عموماً تحظى بأهميّة كبيرة فما بالك بدراسة أحد صور هذا المنهج لذلك رأيت أنّ دراسة منهجيّة الاختصار ستعود على القارئ بفائدة كبيرة في عصر بدأ يتّجه فيه كتبة السيرة إلى الاختصار بعد انّ رأوا أنّ الملل قد أصاب القارئ من المطوّلات، بالإضافة إلى أنّ البحث سيحدّد هل كان الاختصار حقيقيّاً أم أنّه مجرّد اختصار فيه خلل ودون فائدة، لذلك سيثبت البحث مدى التزامهم بهذا الاختصار، وهل كان اختصاراً صحيحاً؟ أم أنّه كان اختصاراً مخلّا، أم أنّه ادّعاء اختصار دون الالتزام به.

مفهوم الاختصار: ذكر ابن منظور في لسان العرب أنّ الاختصار: هو حذف الفضول من كلّ شيء، وفي الكلام: أن

تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى[1]، وهو ما قصدته في بحثي من إيجاز علماء القرن الثامن الهجري أحداث السيرة النبويّة بوضوح دون تشعّب أو إطالة مع شموليّة واستيفاء هذه الكتب للسيرة النبويّة، ووقائعها، وشمائل النّبي، ﷺ، وخصائصه، ومزاياه، وحياته الخاصّة، وكل ما يتعلّق به، بالإضافة إلى التعليق على ذكر المؤلّف للاختصار إمّا صريحاً أو تلميحاً في العنوان أو في المقدِّمة ومدى التزامه بذلك.

حدود الدراسة: تعتبر الكتب الّتي كتبت في السيرة النبويّة في القرن الثامن الهجري كثيرة جدّا، ولا يسعنا الحديث عنها جميعاً ولكنّها تنوّعت فكانت بين كتب أصيلة أُلِّفت في السيرة مباشرة، وكتب مختصرات وشروح وتعليقات على كتب أُخرى في السيرة، وكتب مخطوطة، وكتب في الشمائل والخصائص. وسأعرض في بحثي للكتب الأصيلة الّتي أُلِّفت في السيرة النبويّة مباشرة وكتبها مؤلّفها بأسلوبه، وعددها ثمانية كتب، أمّا بقيّة الكتب، وهي كثيرة، فلن أعرض لها. فكتب الشروح والتعليقات هي كتب تمّ تأليفها على كتب ومؤلّفات أخرى في السيرة ومن أمثلتها: كتاب مغلطاي بن قليج المتوفّى سنة ٧٦٢ هـ المسمّى: الزهر الباسم في سير أبي القاسم ﷺ، وهو أحد شروح الروض الأُنف للسهيلي. وكتب المختصرات هي كتب مختصرة لكتب أصيلة مثل: كتاب نور

١ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد الافريقي المصري، ت ٧١١ هـ: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣ م، ٨٠/٥.

العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون لابن سيّد النّاس الّذي اختصر فيه كتابه المشهور عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. أمّا المخطوطات فلا يمكن الوقوف عليها لأنّه ورد ذكرها في مكتبات بعيدة، ومن أمثلتها كتاب فضل الله الهمذاني الرسالات السلطانيّة في المباحث النبويّة. وأخيراً الكتب الّتي أُلِّفت في الشمائل والخصائص وقد تركتها لأنّها تعتبر مطوّلات وتتحدّث عن جزء صغير ومحدّد من السيرة النبويّة وتعرض له في جزء أو ربّما أكثر، ومن أمثلتها: كتاب ترجمة أزواج النّبي ﷺ، للدمياطي المتوفّى سنة ٧٠٥ هـ.

منهج البحث: سيكون منهج البحث المستخدم في الدراسة هو منهج البحث التاريخي الّذي يعتمد على جمع المادة العلميّة من مصادرها الأصيلة ثمّ دراستها بتؤدة وتأنّي بحيث يتمّ التعرّض لها بالنقد والتحليل والاستنتاج حتّى يتمّ إنشاء الصيغة التاريخيّة النهائيّة.

وسأعرض لثمانية مصادر تنطبق عليها الشروط الّتي أشرت إليها، في حدود الدراسة، أعلاه وسأنتهي بمؤلّفات ابن كثير المتوفّى سنة ٧٧٤ هـ لأنّ الكتب الّتي ألّفت بعده مات أصحابها في القرن التاسع فيُحسبون على القرن التاسع، ومن ذلك، على سبيل المثال، كتاب إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ، من

الأحوال والأموال والحفدة المتاع للمقريزي المولود بعد سنة ٧٦٠ هـ، والمتوفّى سنة ٨٤٥ هـ[١].

خطّة البحث: وسأعرض للكتب التالية: كتاب السيرة النبويّة للدمياطي، المتوفّى سنة ٧٠٥ هـ[٢]. وكتاب روضة المؤمنين في سيرة سيّد المرسلين للقادوسي، المتوفّى سنة ٧٠٨ هـ[٣]، أو البسطامي، غير معروف تاريخ وفاته[٤]. وكتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيّد النّاس، المتوفّى سنة ٧٣٤ هـ[٥]. والسيرة النبويّة للإمام الذهبي، المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ[٦]، وهي جزآن من كتابه الشهير تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام. والسيرة النبويّة من كتاب الوافي بالوفيّات للصفدي، المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ[٧]. والسيرة النبويّة، الّتي تمثّل الجزء الأوّل، من كتاب عيون التواريخ لابن شاكر

١ ابن العماد الحنبلي، عبد الحيّ بن أحمد العكري الدمشقي، ت ١٠٨٩ هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ٣٧٠/٩.

٢ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٢٣/٨.

٣ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٠١/٣.

٤ لم أقف على ترجمة له سوى ما ذكره عن نفسه في مقدّمة كتابه من إهداء الكتاب للناصر حسن بن محمّد بن قلاوون الّذي تولّى الحكم سنة ٧٤٨ هـ. ابن حجر: المصدر السابق، ٣٨/٢-٤٠.

٥ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ١٨٩/٨.

٦ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٢٦٤/٨.

٧ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٤٣/٨.

الكتبي، المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ[١]. وكتابي المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، والمختصر الصغير في سيرة البشير النذير لعبد العزيز بن جماعة، المتوفّى سنة ٧٦٧ هـ[٢]. وأخيراً كتابي السيرة النبويّة، والفصول في سيرة الرسول ﷺ، لابن كثير، المتوفّى سنة ٧٧٤ هـ[٣].

١ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٤٦/٨-٣٤٧.
٢ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٥٨/٨.
٣ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٩٧/٨.

منهج الاختصار في كتابة السيرة النبويّة في القرن الثامن الهجري

- **شرف الدين الدمياطي، المتوفّى سنة ٧٠٥ هـ:**

هو الحافظ أبو محمّد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي الشافعي، ولد سنة ٦١٣ هـ، سمع من نحو ألف ومائتين وخمسين شيخاً، وقد تتلمذ عليه الكثير من العلماء منهم: المِزّي، وابن سيّد النّاس، والسبكي، والبرزالي، وله تصانيف عدّة منها: السيرة النبويّة، وكتاب الخيل، وكتاب الصلاة الوسطى، توفّي في القاهرة سنة ٧٠٥ هـ[١].

وله كتاب: السيرة النبويّة، وهو كتاب مطبوع في ٣٠٩ صفحات، وهو كتاب مختصر جداً ويظهر ذلك من خلال صغر حجم الكتاب، وقلّة عدد صفحاته، ويظهر للباحث أنّ الّذي ساعد على قلّة صفحات الكتاب هو إهمال الدمياطي للأسانيد فالكتاب بلا أسانيد وهو ما ينعكس على صغر الكتاب وقلّة صفحاته. وقد ذكر الدمياطي في مقدّمته أنّه قد استخار الله في جمع الكتاب ككتاب مختصر في السيرة النبويّة[٢].

---

١ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٨/٢٣-٢٤.

٢ الدمياطي، الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، ت ٧٠٥ هـ: السيرة النبويّة، تحقيق: أسعد محمّد الطيّب، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، ص ٢٥.

ومع أنّ الكتاب من المختصرات إلّا أنّه شامل لأحداث، ووقائع السيرة، وخصائص، النّبي ﷺ، وشمائله، وحياته الخاصّة. وما يعيب اختصار الدمياطي أنّه أحياناً اختصار مخلّ تماماً ببعض الأحداث ولا يظهر فيه الهدف الحقيقي للاختصار ففي حديثه عن غزوة بدر الكبرى[1] نجد أنّه قد اكتفي ببضعة أسطر عنها ذكر فيها أنّه قُتِل فيها الكثير من صناديد قريش، وذكر أنّ غالبيّة من حضرها من الصحابة هم من الأنصار فقد كان عددهم ثلاث مائة وخمسة وقيل ثلاث مائة وبضعة عشر بينهم أربعة وسبعون من المهاجرين أمّا البقيّة فهم من الأنصار، ولا شكّ أنّ هذا الاختصار فيه خلل كبير فغزوة بدر الكبرى هي من الأحداث الّتي يسهب فيها كثيراً كلّ من يتصدّى للكتابة في السيرة النبويّة. وكذلك تناوله لغزوة أحد كان اختصاراً لا يفهم منه شيء من أحداث الغزوة فقد اكتفى بذكر خروج قريش لقتال المسلمين انتقاماً من هزيمة بدر الكبرى، وذكر عدد جيش المشركين، وختم حديثه عنها بذكر حادثة مخيريق اليهودي الّذي مات على دين الإسلام ودُفِن في زاوية من مقابر المسلمين ولم يُسمع أنّ النّبي ﷺ، قد ترحّم عليه، واكتفى بإيراد قوله: (مخيريق خير يهود)[2]. وكذلك في حديثه عن غزوة فتح مكّة عرض لنقض قريش لمعاهدة الحديبية وذكر أنّها سبب الفتح، ثمّ عرض لمحاولة أبي سفيان، رضي الله عنه، إنقاذ صلح الحديبية، ثمّ إسلامه،

١ الدمياطي: المصدر السابق، ص ١٨٧.
٢ الدمياطي: المصدر السابق، ص ١٩٣-١٩٤.

وخصّ النّبي ﷺ، له بأنّ من دخل بيته فهو آمن[١]، دون أن يعرض لتقسيم الجيش ودخوله لمكّة وأعماله، عليه السلام، بعد الفتح.

ومع أنّ اختصار الدمياطي كان مخلّاً إلّا أنّه كان أحياناً اختصاراً مفهوماً وكما يجب أن يكون الاختصار، ففي حديثه عن الهجرتين إلى الحبشة نجد أنّه قد اختصر الحديث عنهما بشكل جيّد، فقد ذكر عدد من هاجر في المرّة الأولى، وتحدّث عن سبب رجوعهم وهي شائعة إسلام أهل مكّة، وقصّة الغرانيق[٢]، ثمّ عرض للهجرة الثانية إلى الحبشة وإقامة المهاجرين فيها وعودتهم إلى المدينة في فتح خيبر[٣]. وفي اختصاره لسريّة مؤتة نجد أنّ اختصاره كان اختصاراً جيّداً تفهم منه أسباب الغزوة وأحداثها ونتائجها[٤].

١ الدمياطي: المصدر السابق، ص ٢٣٥-٢٣٧.
٢ قصّة الغرانيق: ملخّص القصّة أنّ النّبي ﷺ، عندما كان يقرأ على المشركين سورة النجم ألقى الشيطان على لسانه بعد آية: (أفرأيتم اللّات والعزّى، ومناة الثالثة الأخرى): تلك الغرانيق العُلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى. وهي قصّة باطلة متناً وسنداً وقد تصدّى للردّ عليها محمّد ناصر الدين الألباني، رحمه الله، في كتابه نصب المنجنيق لنسف قصّة الغرانيق.
٣ الدمياطي: المصدر السابق، ص ٧٨-٨٣.
٤ الدمياطي: المصدر السابق، ص ٢٣٠-٢٣٢.

- **القادوسي، المتوفّى سنة ٧٠٨ هـ، أو البسطامي (غير معروف تاريخ وفاته):**

القادوسي هو علم الدين علي بن محمّد بن الحسن الخلاطي الحنفي، وقد لُقِّب بالقادوسي لطول تكوير عمامته، درس بالظاهرية وولي إمامتها، مات سنة ٧٠٨ هـ[١].

وكتابه هو روضة المؤمنين في أحوال سيّد المرسلين، وقد شاع عن هذا الكتاب أنّه من تأليف القادوسي ولكن في مقدّمة الكتاب يذكر مؤلّفه أنّ اسمه البسطامي ولا يذكر القادوسي[٢]، كما أهداه، في مقدّمته، للسلطان الناصر حسن بن محمّد بن قلاوون الّذي تولّى الحكم سنة ٧٤٨ هـ[٣]. وهذا ليس موضوعنا وما يهمنا هو منهج المؤلّف في الاختصار ففي مقدّمته[٤] لم يذكر أنّه اتّخذ للاختصار سبيلاً في منهجه، ولكن ذكر أنّه قد قسّم كتابه إلى عشرين باباً تتناول جميع أوجه السيرة النبويّة،

١ ابن حجر: المصدر السابق، ١٠١/٣.
٢ هذا الكتاب طُبِع مؤخّراً وتمّ تحقيقه كرسالة علميّة في جامعة النيلين السودانيّة، ولم يشر المحقّق فيه إلى نسبة الكتاب إلى صاحبه.
٣ ابن حجر: المصدر السابق، ٣٨/٢-٤٠.
٤ القادوسي، علي بن محمد بن الحسن الخلاطي، ت ٧٠٨ هـ: روضة المؤمنين في أحوال سيّد المرسلين، تحقيق ودراسة تاريخيّة: فارس عرّاك عبد معروف، بحث لنيل درجة الدكتوراة في جامعة النيلين، السودان، ص ٤٩-٥٢.

ويبلغ عدد صفحات الكتاب بعد التحقيق ٣٠٥ صفحات[١] وهو عدد قليل جداً من الصفحات إذا ما تمّ توزيعها على عشرين باباً. ونلحظ على الكتاب الاختصار المقبول في مواضع، والاختصار المخلّ في مواضع أخرى، وسنحاول فيما يلي تناول أمثلة على ذلك:

فالباب الأوّل أطلق عليه: في ذكر نسبه ومولده ومنشأه ومبعثه[٢]، وهو عن أحداث السيرة النبويّة من نسب النّبي ﷺ، وحتّى وفاته، ونلحظ على اختصار الكتاب أنّه تناول أحداث ما قبل البعثة بشكل سهل ومفهوم يمكننا القول عنه أنّه اختصار جيّد كان يكتفي فيه بذكر الوقائع دون أن يفيض فيها ففي يتم النّبي ﷺ، ذكر أنّه وُلِد يتيم الأبّ ثمّ تغرّب في مضارب بني سعد ثمّ كفلته أمّه وبقي في حجرها حتّى ماتت وهو في السادسة ثمّ كفله جدّه الّذي ما لبث أن مات وهو ابن ثمان سنين، ثمّ كفله عمّه أبو طالب[٣]. أمّا أحداث البعثة في مكّة فلم يعرض لشيء منها، واكتفى بذكر الحوادث في المدينة بحسب السنوات فكان يذكر السنة ويذكر أبرز الأحداث فيها دون تفصيل في هذه الحوادث، فمثلاً قال عن السنة الخامسة: وفي السنة الخامسة كانت غزوة دومة الجندل، والخندق، وبني قريظة، وفيها تزوّج زينب بنت جحش، وفي ذي الحجّة منها

١ القادوسي: المصدر السابق، ص ٤٨-٣٥٣.
٢ القادوسي: المصدر السابق، ص ٥٣-٧٣.
٣ القادوسي: المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨.

رجفت الأرض بالمدينة[1]، ولم يذكر شيئاً آخراً. ولا شكّ أنّ هذا الاختصار لأحداث البعثة هو اختصار مخلّ تماماً فالأحداث ووقت وقوعها معروفة للجميع ولا نحتاج إلى ذكرها أو التذكير بها.

أمّا الباب العاشر فهو في إسرائه[2]، والإسراء من أحداث العهد المكّي من البعثة، ولكنّه لم يتطرّق له من ناحية وقت وقوعه وإنّما تناوله كخاصيّة من خصائص النّبي ﷺ، وتناول فيه روايات متعدّدة تصف ما حدث فيه، وعند قراءة هذه الروايات نجد أنّها كانت روايات قصيرة ومختصرة تصف ما حدث في الإسراء والمعراج بدقّة ودون إفاضة.

أمّا الباب الثالث عشر فهو في أسمائه[3] وقد جمع فيه أسماء النّبي ﷺ، واستدلّ على هذه الأسماء بالآيات القرآنيّة، والاختصار هنا جيّد لا يلحظ فيه خلل في منهجيّته.

وأخيراً الباب العشرون: في حكم ما هو سبّ، أو نقص في حقّه، أو في حقّ أهل بيته[4]: وتناول في ذلك أنّ من سبّه، عليه السلام، أو عابه، أو ألحق به نقصاً يُقتل، وأورد الأدلّة من القرآن ومن أقوال أئمّة السلف في ذلك، كما ذكر أنّ سبّ آل بيته، أو أصحابه وتنقّصهم حرام، وملعونٌ صاحبه وأورد أدلّة في ذلك من الحديث النبوي. ويُلحظ على منهج الاختصار هنا

١ القادوسي: المصدر السابق، ص ٦٣-٦٤.
٢ القادوسي: المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢١٤.
٣ القادوسي: المصدر السابق، ص ٢٤٥-٢٥١.
٤ القادوسي: المصدر السابق، ص ٣٤١-٣٥٣.

أنّه منهج معقول ومقبول فهو يعبّر عن الفكرة الّتي حاول المؤلّف طرقها دون توسّع مملّ.

- **ابن سيّد الناس، المتوفّى سنة ٧٣٤ هـ:**

وهو فتح الدين أبو الفتح محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن سيّد النّاس المصري الشافعي، ولد سنة ٦٧١ هـ، اشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتّى من الحديث، والفقه، والنحو، وعلم السير، والتاريخ، ولي في آخر حياته المدرسة الظاهريّة في القاهرة، وتوفّي سنة ٧٣٤ هـ[١]. ولابن سيّد النّاس كتابان في السيرة الأوّل: كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، والثاني: نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون. وسنتناول كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ونهمل كتاب نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون لأنّه ملخّص للكتاب الأوّل، وقد ذكرت في المقدّمة أنّنا سنعمد إلى تناول منهج الاختصار في الكتاب الأصيلة الّتي ألّفت في السيرة دون أن تكون ملخّصات أو شروح لكتب أخرى[٢].

وقد استهلّ ابن سيّد النّاس مقدّمة كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ببيان واقع التأليف في السيرة قديماً

١ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ١٨٩/٨-١٩٠.
٢ انظر: ص ٣.

وحديثاً، فرأى أنّه بين احتمالين: إمّا الإطالة أو التقصير، فالإطالة تقود إلى الملل، بينما التقصير يترتّب عليه الخلل[1]. ثمّ عرض لمفهوم الإطالة ورأى أنّها تنتج من طريقين: أحدهما الاعتناء بالأسماء، والأنساب، والأشعار، والآداب، والآخر جمع كلّ ما يقع تحت يده من الروايات دون الاعتناء أو الاهتمام بها مع قدرته على ذلك. أمّا التقصير فينتج عنه ترك كثير من الفوائد، ويبدو أنّه قصد بالتقصير الاختصار المخلّ. ومع ذلك قرّر الدخول في منهج التقصير مع أنّ فيه ترك الكثير من الفوائد مع اختيار الأفضل من كلام أصحاب هذا المنهج[2]، كما يذكر، أي أنّه قد التزم في كتابه منهج الاختصار، وسأعرض فيما يلي لمدى التزام ابن سيّد النّاس بمنهجه الّذي قطعه على نفسه:

فبشكل عامّ ذكر ابن سيّد النّاس أحداث ما قبل النبوّة في النسخة المطبوعة من الكتاب بـ ٨٩ صفحة، وذكر أحداث العهد المكّي من النبوّة في ٢١٢ صفحة، ولا شكّ أنّ هذا العدد القليل من الصفحات مقارنة بالمطوّلات من كتب السيرة عن فترة امتدّت حوالي ٥٣ سنة من حياة النّبي ﷺ، هو حتماً دليل منطقي على الاختصار. وفيما يلي سأورد بعض الملاحظات على منهجه في هذا الاختصار:

١ ابن سيّد النّاس، محمّد بن محمّد بن محمّد، ت ٧٣٤ هـ: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: د. محمّد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنوّرة، مكتبة ابن كثير، دمشق، بيروت، ٥١/١-٥٢.

٢ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ٥١/١-٥٢.

فقد بسط الحديث عمّا حُفِظ عن الأحبار، والرهبان، والكهّان، وعبدة الأصنام في أمر النّبي ﷺ، وأطال فيها كثيراً[1] وهو ما قد يُخرجه من منهج الاختصار إلى الإطالة، فقصّة سلمان الفارسي، رضي الله عنه، مثلاً، ذكرها كاملةً، وذكر فيها عدّة روايات من عدّة أوجه، ويمكن اختصارها في صفحة، أو صفحتين فيما أوردها في ٩ صفحات[2].

وفي حديثه عمّا لقيه النّبي ﷺ، وبعض أصحابه من أذى جسدي، ونفسي في مكّة اختصر الحديث فيه وذكر أحداثاً معدودة ومختصرة في حوالي ١٤ صفحة[3]، ولا شكّ أنّ الحديث في مثل هذا الموضوع طويل جدّاً فالأذى الجسدي، والنفسي كان من الأساليب الّتي اتّبعتها قريش مع الدعوة للقضاء عليها بالإضافة إلى كثرة من اتّبع هذا الأسلوب كأبي جهل، وأبي لهب، وزوجه، وعقبة بن أبي معيط، والأخنس بن شريق، وغيرهم ممّا تطول القائمة في ذكرهم. وقد ذكر في نهاية حديثه عن الأذى الجسدي، والنفسي بعد أن ذكر المستهزئين أنّه يطول الحديث في البلاء الّذي طال النّبي ﷺ، وأصحابه[4]، وهذا بمثابة تذكير بأسلوب الاختصار الّذي اتّبعه في كتابه.

١ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ١/١٢٥-١٦٢.
٢ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ١/١٣٤-١٤٢.
٣ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ١/١٩٢-٢٠٦.
٤ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ١/٢٠٦.

وفي موضوع إسلام عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، نجد أنّه ذكر روايات كثيرة عن ذلك[١]، وهو ما يخالف منهج الاختصار، ويبدو أنّ الكسب الّذي كسبته الدعوة بإسلام عمر، رضي الله عنه، هو الّذي جعله يتوسّع في ذلك لإثبات قوة الدعوة بعد كسبها لرجل تميّز بالقوّة، والشجاعة في قريش.

أمّا حديثه عن العهد المدني من البعثة فقد خصّص له ما تبقّى من كتابه وهو أواخر الجزء الأوّل والجزء الثاني كاملاً، واستطرد فيه، وفيما يلي نورد بعض الملاحظات عليه:

ففي حديثه عن فضل من شهد بدر أورد الموضوع في عنوان مستقلّ، ولم يذكر تحته إلّا رواية واحدة نقلها عن البخاري[٢]، ويبدو أنّه لمنهج الاختصار أثر في ذلك، بالإضافة إلى أنّه ربّما يكون قد اكتفى برواية البخاري في ذلك وأنّها بمثابة الفصل في فضل من شهد بدراً.

وعند تناوله لموضوع المُثلة في فوائده على سريّة سعيد بن زيد، رضي الله عنه، إلى العرنيّين[٣] دمج الحديث في سياق واحد عن بعض الروايات القصيرة وختم حديثه بالتذكير لو لا التزامه بالاختصار لأطال الكلام في ذلك.

---

١ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ٢١٦/١-٢٢١.

٢ البخاري، محمّد بن إسماعيل، ت ٢٥٦ هـ: صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ص ٩٧٧؛ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ٤٣٥/١.

٣ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ١٣٣/٢.

وفي خبر كعب بن زهير، رضي الله عنه، وقصيدته[1] نجد أنّه قد ابتعد عن الاختصار قليلاً، فقد أورد القصيدة كاملة، بالإضافة إلى خبرها، فأورد فيها روايات عدّة عن طريق ابن إسحاق، وذكر طُرَفاً من أشعار كعب، بالإضافة إلى إيراده لبعض الفوائد عن القصيدة وفي غالبها معاني لكلمات القصيدة، وتعريف ببعض الشخصيّات الواردة فيها.

وفي نهاية الكتاب ذكر عن وفاة النّبي ﷺ، بعض الأشعار، ثمّ عقّب على هذه الأشعار أنّه لا يستطيع بسط الحديث عنها لأنّها كثيرة وأكثر ممّا تُحصى ولو عمد إلى ذلك لخرج عن الاختصار الّذي اتّخذه منهجاً في كتابه[2].

وأخيراً ختم الكتاب بما يمكننا تسميته خاتمة مختصرة في ستّة أسطر، وذكّر فيها أنّه لم يسلك في الكتاب غير الاقتصاد الّذي قصده[3]، كما عبّر، وهو يقصد بالاقتصاد الاختصار.

وفي ختام حديثنا عن الاختصار نجد أنّ ابن سيّد النّاس قد التزم فعلاً بمنهجه في الاختصار عدا بعض التجاوزات الّتي أشرنا لها أعلاه، وهي قليلة جدّاً قياساً إلى كثرة الأحداث والمواضيع في الكتاب وشموليّته لأحداث السيرة النبويّة بعهديها المكّي والمدني، وحياة النّبي ﷺ، الخاصّة، وشمائله، وخصائصه، ومزاياه، وكلّ ما يتعلّق به.

١ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ٢/٢٨٠-٢٩١.
٢ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ٢/٤٥١-٤٥٣.
٣ ابن سيّد النّاس: المصدر السابق، ٢/٤٥٣.

- **الذهبي، المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ:**

هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن قايماز التركماني الذهبي، وُلِد سنة ٦٧٣ هـ، سمع من جمّ غفير من علماء عصره في الشام، ومصر، والحجاز، له كتب ومصنّفات كثيرة مشهورة مثل سير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وتاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام، توفّي سنة ٧٤٨ هـ[١].

وللذهبي كتاب في السيرة هو الروض الأُنف الباسم في السيرة النبويّة الشريفة وهو عبارة عن شرح لكتاب الروض الأُنف للإمام السهيلي، ولن نعرض له هنا لأنّه كتاب شرح لكتاب آخر فقد ذكرنا في المقدِّمة أنّنا لن نعرض لكتب الشروح[٢]. أمّا عمل الذهبي الآخر في السيرة الّذي سنعرض له هنا فهو جزء من كتابه الكبير: تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام ويمثّل الجزأين الأوّل والثاني منه، ولم أقف على طبعة مستقلّة لسيرة الذهبي، وقد ذكر الذهبي في مقدِّمته لكتاب تاريخ الإسلام أنّ منهجه فيه كان الاختصار[٣] وبالتالي يكون ذلك منهجه في السيرة النبويّة فهي جزء من الكتاب. ومن خلال

١ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٢٦٤/٨-٢٦٨.
٢ انظر: ص ٣.
٣ الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد، ت ٧٤٨ هـ: تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ، ٢٢/١.

النظر في سيرة الذهبي يُلحظ أنّه لم يلتزم بالاختصار كما ذكر ولكن كان لديه توسّع في بعض الأحداث كغزوة بدر الّتي خصّص لها ٧٨ صفحة[١] من الجزء الأوّل[٢]، وكذلك غزوة الحديبية[٣]، وغزوة فتح مكّة[٤]، وبالمقابل نجد لديه اختصار مخلّ في بعض الأحداث ففي سريّة سالم بن عمير، رضي الله عنه، إلى أبي عفك اليهودي نجد أنّه اكتفى بذكر أنّه كان يؤذي النّبي ﷺ، ويهجوه، فانتدب له سالم بن عمير فقتله غيلة[٥] دون تفصيل في الغزوة أو وقائعها. وكذلك سريّة زيد بن حارثة إلى وادي القرى والّتي لم يذكر عنها شيئاً سوى أنّها وقعت في شهر رجب[٦]، في سياق حديثه عن أحداث السنة السادسة. وسريّة نجد[٧] دون أن يذكر قائدها أو وقائعها عدا الغنائم الّتي كُسِبت فيها، ولم يذكر شيئاً عنها عدا ذلك.

١ الذهبي: المصدر السابق، ١/٥٠-١٢٨.
٢ بدأ الذهبي سيرته بالحديث عن العهد المدني ثمّ في الجزء الثاني عن العهد المكّي، وهو منهج غريب ولكن يعلّل ذلك بمنهج الذهبي في الكتاب فقد دأب على ذكر أعمال الشخصيّات الّتي يتحدّث عنها ثمّ يتحدّث عن حياتهم. الذهبي: المصدر السابق، مقدّمة التحقيق، ١/٧.
٣ الذهبي: المصدر السابق، ١/٣٦٣-٣٠٢.
٤ الذهبي: المصدر السابق، ١/٥٢١-٥٦٥.
٥ الذهبي: المصدر السابق، ١/١٣٨.
٦ الذهبي: المصدر السابق، ١/٣٥٥.
٧ الذهبي: المصدر السابق، ١/٤٧٧.

ومع ذلك كان لديه اختصار جيّد ففي حديثه عن سريّة بشير بن سعد إلى بني مرّة بفدَك[1] ذكر أحداث السريّة، وما حدث فيها، وكيف انتهت، ونتائجها. وفي حديثه عن سريّة الجناب إلى يمْن وجُبار بقيادة بشير بن سعد في ثلاث مائة رجل[2] اختصرها بشكل مقبول يُفهم منه سبب السريّة وأحداثها ونتيجتها. وسريّة أبي قتادة إلى خَضِرة[3]، وهي أرض لغطفان، فقد كسبوا فيها مائتي بعير وألف شاة من الغنائم وكان اختصاره مفهوماً لا يخلّ بأحداث السريّة وما وقع فيها.

أمّا عن الجزء الثاني من الكتاب فقد لاحظت أنّ غالبيّة منهج الذهبي فيه الاختصار ولكن هناك مواضيع قليلة توسّع فيها كثيراً كقصّة سلمان الفارسي، رضي الله عنه، وأورد فيها عدّة روايات[4]. كما توسّع في دعوة النّبي ﷺ، لقريش، وأساليبهم في مواجهة الدعوة[5]، ولكن لا نستطيع القول أنّه قد خرج عن منهج الاختصار لأنّ الأحداث في هذا الباب كثيرة جدّاً والروايات فيه، كثيرة أيضاً. كما توسّع كثيراً في مواضيع إسلام أبي ذرّ، وحمزة، وعمر[6]، رضي الله عنهم جميعاً، بشكل يخلّ بالاختصار فقد أطال وأورد روايات عديدة عن كل موضوع. وأخيراً لم ألحظ أنّ الذهبي قد أخلّ بمنهج الاختصار

١ الذهبي: المصدر السابق، ١/٤٤٧-٤٤٨.
٢ الذهبي: المصدر السابق، ١/٤٥١-٤٥٢.
٣ الذهبي: المصدر السابق، ١/٥١٩-٥٢٠.
٤ الذهبي: المصدر السابق، ٢/٩٥-١١٥.
٥ الذهبي: المصدر السابق، ٢/١٤٣-١٦١.
٦ الذهبي: المصدر السابق، ٢/١٦٥-١٨١.

في مواضيع الجزء الثاني بل إنّه اختصر الموضوعات بشكل مقبول وكان لديه بعض التوسّع قليلاً في مواضيع قليلة غير ما ذُكِر، أعلاه، ولكنّه غير مخلّ بمنهجيّة الاختصار.

- **الصفدي، المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ:**

وهو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الشافعي، وقد أخذ العلم عن المزِّي، وابن سيّد النّاس، والذهبي، والتقي السبكي، وغيرهم، وقد تولّى كتابة الإنشاء في دمشق مصر، ووكالة بيت المال بالشام، توفّي سنة ٧٦٤ هـ[١].

ويعدّ كتاب الصفدي الوافي بالوفيّات أحد أشهر كتب التراجم، وقد استهلّ الكتاب بترجمة النّبي ﷺ، ولم ألحظ في مقدِّمة الكتاب ما يشير فيها إلى منهج الاختصار[٢]، ومع ذلك كانت كتابته عن السيرة النبويّة مختصرة جدّاً فقد غطّى السيرة النبويّة وحياة النّبي ﷺ، في ٣٤ صفحة[٣]، بل ويصل به الاختصار إلى الإخلال بالموضوع فهو يذكر الأحداث، ونتائجها فقط دون أن يفصّل فيها ولو قليلاً. ومع أنّ الكتاب شامل وقد غطّى أحداث السيرة، ودلائل، وشمائل النبوّة،

١ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٤٣/٨-٣٤٤.
٢ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤ هـ: الوافي بالوفيّات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي للطبع والنشر والتوزيع، ٢٥/١-٣٠.
٣ الصفدي: المصدر السابق، ٦٢/١-٩٦.

وحياته الخاصّة، وغيرها إلّا أنّ الاختصار لا يُفهم منه الحدث كما وقع بسبب اختصاره الشديد.

- **ابن شاكر الكتبي، المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ:**

وهو صلاح الدين محمّد بن شاكر الكتبي الدمشقي، سمع من ابن الشحنة والمِزّي، وغيرهما، كان فقيراً جدّاً ثمّ اشتغل بالتجارة فرزق منها مالاً طائلاً، كان مؤرّخاً، توفّي سنة ٧٦٤ هـ[١].

وكتابه هو عيون التواريخ، وهو كتاب مشهور ضاع أكثره وبقي من بين ما بقي منه الجزء الأوّل وهو الخاصّ بالسيرة النبويّة وألحق بها خلافة أبي بكر الصدّيق[٢]، رضي الله عنه، وقد بدأ الكتاب بمقدِّمة[٣] ذكر فيها أهميّة دراسة التاريخ، وبداية التقويم الهجري، وهدفه من الكتاب، ولكنّه لم يذكر شيئاً عن منهجه في الاختصار. ويظهر منهج الاختصار جليّاً عند الكتبي في إهماله لمصادره فلم يذكر شيئاً منها وعمد إلى سرد الروايات ودمجها مع بعضها دون أن يُلحظ كم رواية في الواقعة أو الحدث. وعند تصفّح الكتاب يظهر منهج الاختصار

١ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٤٦/٨-٣٤٧.
٢ الكتبي، محمّد بن شاكر، ت ٧٦٤ هـ: عيون التواريخ، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ١/١-٤٧٤.
٣ الكتبي: المصدر السابق، ١/١-٤.

فيه بوضوح ومن ذلك ما ذكره في غزوة أحد[١]، مثلاً، فقد أورد أحداث هذه الغزوة في ١٤ صفحة وبأسلوب واضح ومشوّق لا يشتّت انتباه القارئ ولا تتداخل فيه الروايات مع بعضها. وكذلك في سرده لأحداث غزوة خيبر[٢] كان حديثه مختصراً وشرح فيه وقائع الغزوة وما وقع فيها باقتضاب دون إخلال بأحداث الغزوة أو إهمال شيءٍ منها. وكذلك غزوة فتح مكّة[٣] أوردها باختصار مفهوم ولكن يتخلّله إيراده لبعض الأشعار كقصيدة حسّان ثابت، رضي الله عنه، المطوّلة في فتح مكّة[٤]، وهو إخلال بمنهج الاختصار. ولم ألحظ أيّ إخلال بمنهج الاختصار إلّا بإيراده لبعض الأشعار وهي قليلة ومنها ما ذُكِر آنفاً عن قصيدة حسّان، رضي الله عنه، وما ذكره في موت أميّة بن الصلت التميمي في أحداث السنة الخامسة للهجرة إذ أورد نماذج كثيرة من شعره وبعضها مطوّل[٥].

- **ابن جماعة، المتوفّى سنة ٧٦٧ هـ:**

هو قاضي القضاة عزّ الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن جماعة المصري، ولد سنة ٦٩٤ هـ، شيوخه يزيدون على ألف وثلاث مائة، ومات سنة ٧٦٧ هـ[٦].

---

١ الكتبي: المصدر السابق، ١/١٥٣-١٦٧.
٢ الكتبي: المصدر السابق، ١/٢٦٤-٢٧٠.
٣ الكتبي: المصدر السابق، ١/٢٨٨-٣١٣.
٤ الكتبي: المصدر السابق، ١/٣١٠-٣١٣.
٥ الكتبي: المصدر السابق، ١/٢١٣-٢٢٣.
٦ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٨/٣٥٨-٣٥٩.

وله كتابان مختصران في السيرة، الأوّل: المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ. والثاني: المختصر الصغير في سيرة البشير النذير. ومن عنواني الكتابين يظهر أنّهما من فئة المختصرات، ومن خلال قلّة عدد الصفحات في الكتابين تثبت منهجيّة الاختصار، فالمختصر الكبير ١٦٤ صفحة، والمختصر الصغير ٢١٨ صفحة، وترجع كثرة صفحات المختصر الصغير على المختصر الكبير إلى منهجيّة التحقيق فيهما. وقد ذكر ابن جماعة في مقدّمتي الكتابين أنّهما مختصران للسيرة[١] ولم يذكر شيئاً آخراً، وهذا يعني أنّ منهجه فيهما سيكون الاختصار.

وعند النظر والتدقيق في الكتابين يظهر أنّ منهجيّة الاختصار فيهما مخلّة بالمادّة العلميّة، فقد اكتفى في المختصر الكبير بذكر بعض الأحداث المهمّة مجرّد ذكر دون أيّة تفاصيل، فالغزوات تحدّث عنها باختصار شديد وحصر الحديث عنها في ١٣ صفحة[٢]، وهذا في مجمله اختصار مخلّ لأنّ هذا العدد القليل من الصفحات ربّما لا يوجز ويختصر أحد الغزوات الكبرى كبدر، أو أُحد، أو فتح مكّة، وغيرها. أمّا ما يتعلّق

١ ابن جماعة، عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة، ت ٧٦٧ هـ: المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: د. سامي العاني، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ص ١٥؛ ابن جماعة، عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة، ت ٧٦٧ هـ: المختصر الصغير في سيرة البشير النذير، تحقيق: د. محمّد كمال الدين، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ص ٢٧.

٢ ابن جماعة: المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، ص ٥٧-٦٩.

بحياة النّبي ﷺ، الخاصّة، وخصائصه، وشمائله، ومزاياه فقد اختصرها بشكل جيّد ومقبول فيه وضوح واستيفاء للموضوع مع شموليّتها لموضوعاتها ومن ذلك: معجزاته[١]، عليه السلام، فقد أوجزها وحصرها بشكل واضح، وكذلك زوجاته[٢]، عليه السلام، وذكر خدمه ومواليه[٣].

أمّا المختصر الصغير فكان كالمختصر الكبير من حيث التقسيم فقد قسمه إلى قسمين الأوّل عن أحداث السيرة، والثاني عن حياته الخاصّة، وخصائصه، وشمائله، ومزاياه، وقد اكتفى بذكر أحداث السيرة في ٢٦ صفحة[٤] ويمكن أن ينطبق على ذلك ما ورد، أعلاه، عن المختصر الكبير من أنّه اختصار مخلّ بالأحداث، ونضرب لذلك أمثلة ففي حديثه عن بيعتي العقبة[٥] اكتفى بذكر الأعداد فقط دون ذكر لاسم أحد ممّن حضرهما أو معلومات مفيدة عن ما تمّ في البيعتين، أمّا عن الغزوات والسرايا[٦] فنجد أنّه اكتفى بذكر عددها فقط دون إشارة لشيء آخر، ويضاف إلى ذلك تجاهله لموضوعات مهمّة في السيرة كحلف الفضول، وترميم قريش للكعبة، والوفود.

١ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ٧٧-٧٩.
٢ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ٩٠-١٠٤.
٣ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ١٠٥-١١١.
٤ ابن جماعة: المختصر الصغير في سيرة البشير النذير، ص ٢٩-٥٥.
٥ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.
٦ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ٥٣.

أمّا ما يتعلّق بالقسم الثاني من الكتاب فقد اختصره بشكل جيّد وواضح حاله في ذلك حال ما فعله في المختصر الكبير، وقد يخطر بالبال أنّه ربّما يكون أعاد ما كتبه أو أنّه قام بإعادة صياغته وعند التدقيق في ذلك نجد أنّه لم يفعل ذلك ولكنّه اختصر وهذّب ما ذكره في المختصر الكبير ففي حديثه عن أولاده، عليه السلام، نجد أنّه لا يتعدّى ذكرهم ومعلومات يسيرة جداً عنهم[١]، وكذلك زوجاته[٢]، وملابسه[٣]، وغيرها.

- **ابن كثير، المتوفّى سنة ٧٧٤ هـ:**

وهو الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد سنة ٧٠٠ هـ، وقد لازم الحافظ المِزّي وصاهره، وأخذ الكثير عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن مصنّفاته البداية والنهاية، والتفسير، توفّي سنة ٧٧٤ هـ[٤].

وله كتابان في السيرة الأوّل: كتاب السيرة النبويّة وهو القسم المختصّ بالسيرة من كتابه الشهير البداية والنهاية، وهو مطبوع مستقلّاً في أربعة أجزاء، والكتاب لم يكن مختصراً فقد وقع في أربعة أجزاء فيما يزيد عن ٢٤٠٠ صفحة، بالإضافة إلى أنّ ابن كثير ذكر الكثير من الروايات عن بعض الأحداث

١ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ٦٥-٦٩.
٢ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ٧٨-٩١.
٣ ابن جماعة: المصدر السابق، ص ١٥٨-١٦٢.
٤ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ٣٩٧/٨-٣٩٩.

من طرق مختلفة وهي تحمل نفس المعنى ومن ذلك: رواية ابن إسحاق عن إسلام عمر[1]، رضي الله عنه، ورواية أخرى لابن إسحاق عن إسلام عمر من طريق آخر[2]. وقد لاحظت مع شمول كتاب ابن كثير للسيرة النبويّة وتوسّعه في أحداثها هو أنّه لم يذكر الأشعار كثيراً وكان يكتفي بذكر بعض الأبيات دون ذكر للقصائد المطوّلة، ولا شكّ أنّ إهمال الأشعار والاكتفاء بذكر شواهد منها هو جزء من منهجيّة الاختصار ولكنّها جزئيّة يسيرة ولا يمكن قياسها على التزامه بالاختصار في هذا الكتاب ذي الأربعة أجزاء.

أمّا الكتاب الثاني فهو: الفصول في سيرة الرسول ﷺ، فهو كتاب من جزأين ولكنه مطبوع في مجلّد واحد ويتألّف من ٤١٢ صفحة مرقّمة بالتتابع مع الفصل بين الجزأين بصفحة بيضاء، والكتاب في جزأيه عبارة عن تقسيم لأحداث السيرة ووقائعها في الجزء الأوّل، وخصائص النّبي ﷺ، وشمائله، وأحواله في الجزء الثاني. ويظهر للباحث من خلال تصفّحه للكتاب أنّه عبارة عن اختصار لكتاب ابن كثير، المطوّل عن السيرة النبويّة، والّذي تناولته أعلاه، لأنّ الكتاب المطوّل شامل ولم يترك فيه شاردة ولا واردة عن السيرة إلّا أوردها فيه لذلك فهو حتماً سيكون اختصاراً له.

١ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤ هـ: السيرة النبويّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ، ٣٢/٢-٣٦.

٢ ابن كثير: المصدر السابق، ٣٦/٢-٣٨.

وقد ذكر ابن كثير في مقدّمة الكتاب أنّه سيتناول السيرة فيه باختصار[١]، وهو ما فعله تماماً، فالكتاب مختصر، وميزة هذا الاختصار أنّه مفهوم، وليس فيه إخلال بالمعلومة، كما أنّ هذا الكتاب شامل لأحداث السيرة وكلّ ما يتعلّق بها من خصائص النّبي ﷺ، وحياته الخاصّة، وشمائله، ومزاياه، ولم ألحظ أنّ في الكتاب إخلال بمنهج الاختصار في أيّ موضوع من موضوعاته، وما يمكننا قوله هو أنّ ابن كثير قد تعامل بشكل جيّد مع منهج الاختصار في كتابه هذا.

وبالمناسبة فالكتاب ظهرت فيه مواضيع جديدة لم أقف على مثلها في كتاب آخر من كتب السيرة وقد أطلق عليها خصائص النّبي ﷺ، وقسّمه إلى قسمين: الأوّل عن: ما اختصّ به دون الأنبياء[٢]، وقد حاول فيه حصر ما تميّز به دون غيره من الأنبياء وهي كثيرة ذكرها على شكل نقاط تناول كلاً منها في بضعة أسطر وهو ما يفسّر اختصاره فيها، ومنها: نصره بالرعب مسيرة شهر[٣]، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً[٤]، وبعثه إلى الناس عامّة[٥]. أمّا القسم الثاني فكان عن: ما اختصّ

١ ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤ هـ: الفصول في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: د. محمّد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسّسة علوم القرآن، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنوّرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ، ص ٧٩-٨٠.
٢ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٢٨١-٢٩١.
٣ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٢٨١-٢٨٢.
٤ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٢٨٢.
٥ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٢٨٥-٢٨٦.

به دون أمّته وقد يشاركه فيها غيره من الأنبياء كالصلاة[1]، والزكاة[2]، والنكاح[3]، وقد ذكر تحت هذه المزايا ما اختصّ به منها على شكل نقاط شرحها فيها وكان شرحه فيها سهلاً وفي غاية الاختصار، ولم يكن اختصاره فيها على حساب وضوح الفكرة الّتي يدور حولها الموضوع.

١ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٣٠٧-٣١٥.
٢ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٣١٥-٣١٦.
٣ ابن كثير: المصدر السابق، ص ٣٢٥-٣٣٧.

خاتمة

بعد أن انتهيت من عرض منهجيّة الاختصار عند كتّاب السيرة في القرن الثامن الهجري، والّذين تناولتهم الدراسة، لاحظت أنّ هذه المنهجيّة لم تكن بالشكل المطلوب للاختصار وكان فيها سلبيّات كثيرة وإن كانت لا تخلو من بعض الإيجابيّات، ويظهر لي أنّ شعور هؤلاء العلماء الأفاضل بالملل من المطوّلات، والّتي امتلأت بها الساحة، هو الّذي قادهم إلى محاولات الاختصار في السيرة النبويّة.

وأهمّ نتيجة أمكن الوصول إليها في هذا البحث هو أنّ منهجيّة الاختصار لم تكن بالشكل المأمول من هؤلاء العلماء الكبار، ولم نجد كتاباً يمكن القول أنّه مختصر جيّد وشامل للسيرة النبويّة بين الكتب المذكورة سوى كتاب ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول ﷺ، والّذي ذكرت عنه جودة الاختصار فيه، وشموله للسيرة النبويّة، وإيراده لأبواب جديدة ومختصرة لم تكن معهودة عند من تصدّى للكتابة في السيرة النبويّة سواءً مختصراً أو مطوّلاً.

وختاماً أسأل الله العليّ العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه في خدمة سيرة نبيه، عليه الصلاة والسلام.

قائمة المصادر

- البخاري، محمّد بن إسماعيل، ت ٢٥٦ هـ: صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ابن جماعة، عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة، ت ٧٦٧ هـ: المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: د. سامي العاني، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ابن جماعة، عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة، ت ٧٦٧ هـ: المختصر الصغير في سيرة البشير النذير، تحقيق: د. محمّد كمال الدين، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- الدمياطي، الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، ت ٧٠٥ هـ: السيرة النبويّة، تحقيق: أسعد

محمّد الطيّب، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد، ت ٧٤٨ هـ: تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ.
- ابن سيّد النّاس، محمّد بن محمّد بن محمّد، ت ٧٣٤ هـ: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: د. محمّد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنوّرة، مكتبة ابن كثير، دمشق، بيروت.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤ هـ: الوافي بالوفيّات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي للطبع والنشر والتوزيع.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحيّ بن أحمد العكري الدمشقي، ت ١٠٨٩ هـ: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- القادوسي، علي بن محمد بن الحسن الخلاطي، ت ٧٠٨ هـ: روضة المؤمنين في أحوال سيّد المرسلين، تحقيق

ودراسة تاريخيّة: فارس عرّاك عبد معروف، بحث لنيل درجة الدكتوراة في جامعة النيلين، السودان.

- الكتبي، محمّد بن شاكر، ت ٧٦٤ هـ: عيون التواريخ، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤ هـ: السيرة النبويّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ.
- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤ هـ: الفصول في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق: د. محمّد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسّسة علوم القرآن، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنوّرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.